الوحدة الموضوعية في سورة العلق

نبيلة بنت حسن بن محمد بن عبدالله تركي

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه، ونستغفره، و نستهديه، ونعوذ بالله من شـرور أنفسـنا ومـن سيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وأصـحابه ومن سلك سبيله ، واهتدى بهداه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن نعم الله عز وجل لا تعد ولا تحصى ومن أعظمها ما امتن به الله على عبـاده مـن إنزاله للكتب السماوية، واختص الله U أمة نبينا محمد r وشرفهم على سـائر الأمـم بـإنزال وحيـه المـبين، فجعلـه حجـة للعـالمين، ومنـارا للسـالكين] U VW X Y

Z [\ ] ^ _ ` a b

c d e f g Z [المائدة: ١٦] فكشف به ظلمات الجهـل وأسباب العذاب، وأمر بتـدبره أولـو الألبـاب فقـال أعـز مـن قائـل :] B C D

E F G H I J K Z [ص: ٢٩].

و من كمال حفظ الله U لكتابه أن قيض له جهابذة فهموا مراد الله عن الله وعـن رسـوله r فألفوا في ذلك كتبا، كل ينهل من معينه، فاستنبط الفقهاء من أحكامه، واهتـدى أهـل البيـان بنظامه، وتفكر المتفكرون في قصصه وأخباره،وتأملت طائفة في حججه وبراهينه.

ولما كانت الحكمة من إنزال القرآن هي لأمور ثلاثة: الأمر الأول: التعبد لله بتلاوته، والثاني: التدبر لمعانيه، والثالث: الاتعاظ به.

فكان صرف الأوقات في تعلمه والعناية به والارتشاف من معينه الذي لا ينضب، مطلبا ينبغـي أن يقصده القاصدون ويتنـافس فيـه المتنافسـون، ويسـعى إليـه المجـدون مـن خـلال مواصـلة البحث فيه، والكشف عن علومه وحقائقه ، وإظهـار إعجـازه ،وتجلية محاسـنه ؛مع بـذل

الغالي والنفيس من أجل الوصول إلى هذا المقصد والانكسار بين يدي الله U ليحقق لنا هذا المطلب .

ولقد اهتم العلماء والسلف بدراسة هذا الكتاب العظيم، وتناولوه من جميع الجوانب، واعتنوا بتفسيره أشد عناية، ومن تلك الجوانب ما ظهر في عصرنا الحاضر من منهج جديد في التفسير،هو " التفسير الموضوعي" فكانت عناية العلماء والباحثين به من خلال ما قدموه لنا من كثير من موضوعات القرآن وعلومه ومعانيه وحقائقه، ولذلك رأيت أن أشارك في خدمة كتاب الله عزّ وجل وذلك من خلال تناوله من جانب الوحدة الموضوعية ووقع اختياري على دراسة الوحدة الموضوعية في سورة العلق، " والبحث في الوحدة الموضوعية في السورة هو الجزء المكمّل لما أطلق عليه " التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"،وتعني: اجتماع أهداف السورة في تقرير موضوع محدد.أو إبراز القضية المحورية في السورة القرآنية"[1].

ولا يخفى أن تحديد موضوع السورة–قصيرة كانت أو طويلة–يتطلب من الباحث دراسة واعية شاملة تبتدئ من الآية الأولى وتستمر حتى نهاية السورة، ويتطلب ذلك إدراكاً عميقاً لأساليب القرآن، ونظراً ثاقباً في محتوى السورة ومضمونها بعيداً عن النظرات السريعة غير المتأنية؛وبالتالي فإن عملية البحث في موضوع السورة لا تتم بمجرد القراءة العابرة، أو النظرة الخاطفة،بل يحتاج ذلك إلى فترات طويلة يديم فيها الباحث النظر و التأمل، وهنا يتحقق الهدف المرجو من خلال الوقوف على آيات الكتاب المبين تدبراً وفهما، إضافة إلى ما يحققه الوقوف على موضوع السورة والقضايا التي تناولتها من كونه كتاب هداية وإعجاز ومنهج نهضة وحياة للأمة.

هذا وأعتذر عما وقع في البحث من تقصير وخلل ، فلا أدعيّ أني وفيته حقه ، أو استقصيته من جميع جوانبه ، وحسبي أني بذلت جهدي فيه ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من نقص وزلل فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه .

---

[1] – الدغامين،زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه،(١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م)،دار عمار–عمَّان،ص ٢٠٥ .

^ أهداف البحث:

إبراز مكانة هذه السورة الكريمة؛وبيان خصائصها ومنزلتها.

بيان الموضوعات الأساسية للسورة ،والعلاقة بين تلك الموضوعات ومحاورها، وبالتالي ربطها بالمحور العام للسورة.

بيان علاقة الموضوعات المطروحة في السورة بحياة الإنسان فرداً وجماعةً.

إثبات تماسك وتناسق الكلمات والآيات؛ وكذلك الموضوعات بعضها مع بعض.

^ الجهود السابقة:

(جهود عامة حول الوحدة الموضوعية)

اهتم عدد من العلماء المتقدمين والمتأخرين بدراسة الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم.

لم تكن دراسة هذا الموضوع جديدة؛وإنما هناك جهود جبارة لكثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، والتي تمثل قاعدة راسخة ولبنة قوية،لا غنى عنها في فهم مدلولات الوحدة الموضوعية،إلا ّأن فهم هذه المدلولات يتسع لتطور العلم،ورقي الفكر،واتساع المعرفة جيلاً بعد جيل.

ولقد حاول بعض العلماء إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، مثل :

المعلم الهندي عبد الحميد الفراهي في تفسيره(نظام القرآن) فله محاولة جادة في تأصيل منهج الوصول إلى الوحدة الموضوعية.

الدكتور محمد عبد الله دراز ، وتحدث عن ذلك في كتابه : (النبأ العظيم).

ومن المهتمين والمبرزين في هذا الجانب : سيد قطب ، في تفسيره (في ظلال القرآن) فقد استوعب جميع سور القرآن الكريم ، في بيان وحدتها الموضوعية ، والجرس الموسيقي المتناسب مع الآيات والمعاني .

اهتم الشيخ محمود شلتوت ببيان مقاصد السورة ، ووحدتها الموضوعية ، من خلال تفسيره الذي فسر فيه عشر سور من القرآن الكريم.

كما اهتم بها الشيخ عبد العزيز جاويش ، ودعا إلى تلمس الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية ، التي تبين بصورة جلية ارتباط الآي بعضها ببعض ، فتتناسق آياتها ، وتتلاحم ، حتى تكون كالسبيكة الواحدة.

كما كانت للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، نظرات ثاقبة في تبيين الوحدة الموضوعية في السور القرآنية ، من خلال استعراضه للقصص القرآني في كتابه : (القصص القرآني ، إيحاؤه، ونفحاته).

الشيخ الغزالي في كتابه(نحو تفسير موضوعي)، فيهدف الكتاب إلى تقديم تفسيرا موضوعيا لكل سورة من الكتاب العزيز، وقد اعتنى عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وتأسى في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة– وهى أطول سورة في القرآن الكريم– فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة.

التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم وهو من إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن،بإشراف أ.د مصطفى مسلم: وهو مجهود مجموعة من العلماء،يقومون بتفسير جميع سور القرآن الكريم على منهج التفسير الموضوعي، لكنه يفسر الآيات تفسيراً إجمالياً،وإن كان يتعرض لمحور السورة؛ويقصدون به الأمر الجامع الذي يجمع موضوعات السورة وجزئياتها في نسق واحد.

وهناك كتب اختصت بالحديث عن التفسير الموضوعي،وذكرت هذا اللون من ألوان التفسير الموضوعي وتحدثت عنه من الناحية النظرية والتطبيقية ، فمن تلك الكتب:

مباحث في التفسير الموضوعي ، للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم.

التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق،للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.

التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للأستاذ الدكتور زياد خليل الدغامين.

الوحدة الموضوعية ، للدكتور محمود الأطرش، وغيرهم...

<u>(جهود خاصة حول الوحدة الموضوعية في سورة العلق)</u>

لم أجد دراسة مستقلة تعنى بدراسة الوحدة الموضوعية في سورة العلق حسب اطلاعي، إلا أن الإمام الشاطبي-رحمه الله- قد تكلم عنها في كتابه الموافقات .

^ هيكل البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس:

المقدمة: وتشتمل على :

أهمية الموضوع وطبيعة البحث فيه ؛و أهداف الموضوع وأسباب اختياره ؛والجهود السابقة في الموضوع ، منهج في البحث ، هيكل البحث .

المبحث الأول: سورة العلق مقدمات تعريفية.

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: ذكر اسم السورة ، ووجه تسميتها بما ٦يت به.

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها.

المطلب الثالث :مكان نزول السورة.

المطلب الرابع: عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

المطلب الخامس: أهداف السورة ومقاصدها.

المطلب السادس: مناسبتها لما قبلها ولما بعدها.

المطلب السابع: وجه اختصاص السورة بما اختصت به .

المبحث الثاني:الوحدة الموضوعية في سورة العلق وتفسير الآيات في ضوئها

تمهيد:الجو العامّ في السورة

المطلب الأول : امتنان الله على الإنسان بالخلق والتعليم" الآيات :١ -٥".

المطلب الثاني: انحراف النفس الإنسانية عن المنهج القويم ، ومجاوزتها لذلك بالطغيان الأثيم" الآيات:٦-٧ ".

المطلب الثالث: تهديد الإنسان وتحذيره من عاقبة الطغيان ؛ مع ذكر بعض أثار الطغيان ووعيد الله عليها "الآيات :"٨-١٨".

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج

الفهارس

^ وأما عن منهجي في كتابة البحث، فكان على النحو التالي:-

يستند البحث في هذه الدراسة على منهجين وهما:

المنهج الاستردادي: من خلال الوقوف على مقدمات السورة التي تتضمن ذكر اسم السورة، ووجه تسميتها بما سميت به، ما ورد في فضلها، والمكي والمدني، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها، وأهداف السورة ومقاصدها، ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها، و وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

المنهج الاستنباطي: الذي يقوم على الاستنباط والفهم من خلال ربط المناسبات مع بعضها البعض، وربطها بمحورها العام الذي يجمع موضوعات السورة وجزئياتها، واستنباط الموضوع العام من خلال تفسير الآيات على ضوء الوحدة الموضوعية.

المنهج التحليلي، وذلك لتحليل الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، وبيان وحدتها الموضوعية الخاصة بهذا البحث.

المبحث الأول
سورة العلق مقدمات تعريفية

المطلب الأول :ذكر اسم السورة ، ووجه تسميتها بما سميت به.

اسم السورة:

تسمى هذه السورة ب "سورة العلق" وهو اسمها التوقيفي.

ووجه تسميتها:

وذلك لوقوع لفظ "العلق" في أوائلها.

أسماء أخرى للسورة :

اشتهر تسمية هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين باسم "سورة اقرأ باسم ربك".

روي عن عائشة–رضي الله عنها–: "أول سورة نزلت من القرآن اقرأ باسم ربك"[(١)] . وتسمى "سورة اقرأ"[(٢)].

وعنونها ابن عطية ، وأبو بكر بن العربي ب "سورة القلم" .

وعقب ابن عاشور على هذه التسمية بقوله: "وهذا اسم سميت به سورة" ن والقلم" ولكن الذين جعلوا اسم هذه السورة "سورة القلم" يسمون الأخرى سورة " ن"، و لم يذكرها في "الإتقان" في عداد السور ذات أكثر من اسم" [(٣)] .

المطلب الثاني : ماورد في فضلها :

مما جاء في فضائل هذه السورة في السنة:

(أ)– ما أخرجه البخاري في "صحيحه" عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ ،فَكَانَ لَا يَرَى

[(١)] – أخرجه الحاكم في "مستدركه" ، كتاب: التفسير،باب: تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق/ ح(٣٩٥٣)، (٥٧٦/٢). وعلق عليه الذهبي في التلخيص بقوله :" على شرط مسلم".

[(٢)] – انظر: ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ،التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ط. الأولى(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ج ٣٠ ،ص ٣٨٢ .

[(٣)] – انظر: ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج ٣٠ ،ص ٣٨٢ .

رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ– اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ،فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ" اقْرَأْ ،قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ ،قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ :"مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ ،فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ ،فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:] K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [العلق: ١- ٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ:" زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي". فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ:" لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي"، فَقَالَتْ له خَدِيجَةُ: كَلَّا ،وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ،وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ،فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى –ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ– وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ،وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ :يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ :يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ :هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ"؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ"[1].

(ب)– أخرج الحاكم في " المستدرك" عن عائشة رضي الله عنها قالت :" أول سورة نزلت من القرآن :] K L M Z "[2].

---

[1] – أخرجه البخاري في " صحيحه" كتاب بدْءِ الْوحْيِ،ح (٣) ص ١ .

[2] – سبق تخريجه في ص ٧ .

المطلب الثالث : مكان نزول السورة :

سورة العلق مكية باتفاق[1].

وصدر سورة اقرأ و هو قوله تعالى: [K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c Z[العلق: ١- ٥]، هو أول ما نزل من القرآن، على أصح الأقوال وأرجحها[2]، وقد دلت الأحاديث الصحيحة الواضحة على ذلك –وقد ذكرته آنفا–.

المطلب الرابع : عدد آياتها وكلماتها وحروفها :

عدد آي سورة العلق وكلماتها وحروفها:

عدد آيها :

وهي ثماني عشرة آية في الشامي، وتسع عشرة في الكوفي والبصري، وعشرون في المدنيين والمكي،اختلافها آيتان :] لَّمۡ ´ ¸ Z عدها المدنيان، والمكي، ولم يعدها الباقون، [r s t u Z لم يعدها الشامي، وعدها الباقون.

كلمها: اثنتان وسبعون كلمة . حروفها :مئتان وثمانون حرفا[1].

---

(1) –انظر: السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن ،الإتقان في علوم القرآن ، تقديم: محمد شريف سكر، راجعه: مصطفى القصّاص، ط٠الثانية(١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، دار إحياء العلوم،بيروت، مكتبة المعارف،الرياض،ج١، ص ٣٠ ، ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج ٣٠ ، ص ٣٨٢ .

(2) – اختلف العلماء في أول ما نزل من القرآن على الإطلاق على أقوال كثيرة؛ أصحها وأرجحها هو القول بأن أول ما نزل صدر سورة اقرأ ،وهو قول الجمهور،وقيل: أول ما نزل سورة المدثر، وأجيب عن هذا بعدة أجوبة فمن ذلك :أ ن المراد بالأولية هنا أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة، وقيل : غير ذلك. وللمزيد في تأصيل المسألة انظر:السيوطي، الإتقان ج ١ ، ص ٧٠– ٧٢ ، الرومي،فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن، ط٠العاشرة(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)،مكتبة الرشد، الرياض.ص ٢٢٧–٢٣١ .

(1) – الداني ،عثمان بن سعيد الأموي ،البيان في عد آي القرآن ، تحقيق : غانم قدوري الحمد، ط. الأولى(١٤١٤ هـ/١٩٩٤م)،مركز المخطوطات والتراث ، الكويت .،ص ٢٨٠ .

المطلب الخامس : أهداف السورة ومقاصدها

أشار الفيروز آبـادي إلى محتويـات هـذه السـورة ومضـمونها بقولـه : " معظـم مقصـود السورة: ابتداء في جميع الأمور باسم الخالق الرب – تعالى – جلت عظمته، والمنة على الخلـق بتعلـيم الكتابـة، والحكمـة، و الشـكاية مـن أهـل الضـلالة، وتهديـد أهـل الكفـر والمعصـية، وتخويف الأجانب بالعقوبة، وبشارة الساجدين بالقربة، في قوله :] وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ Z [العلق: ١٩] [١].

و ممن تكلم أيضاً في مقاصد هذه السورة الكريمة ابن عاشور إذ يقول[٢]:

أغراضها: تلقين محمد r الكلام القرآني وتلاوته إذ كان لا يعرف التلاوة من قبْل .

والإِيماءُ إلى أن علمه بذلك ميسر لأن الله الذي ألهم البشر العلم بالكتابة قـادر علـى تعلـيم مـن يشاء ابتداء.

وإيماء إلى أن أمته ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم .

وتوجيهه إلى النظر في خلق الله الموجودات وخاصة خلقه الإِنسان خلقاً عجيبـاً مسـتخرجاً مـن علقة فذلك مبدأ النظر.

وتهديدُ من كذَّب النبي r وتعرض له ليصده عن الصلاة والدعوة إلى الهدى والتقوى .

وإعلام النبي r أن الله عالمٌ بأمر من يناوئنه ،وأنه قامعهم وناصر رسوله .

وتثبيتُ الرسول على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله .

وأن لا يَعْبأ بقوة أعدائه؛ لأن قوة الله تقهرهم.

و ذكر د.وهبة الزحيلي أن هذه السورة المكية أول شيء نزل مـن القـرآن علـى قلـب الـنبي r لبيان الأمور الثلاثة التالية[٣]:

---

[١] – الفيروزأبـادي، محمـد بـن يعقـوب، بصـائر ذوي التمييـز في لطـائف الكتـاب العزيـز،(١٣٨٤ هــ /١٩٥٧ م)،القاهرة، ج ١، ص ٥٢٩ .

[٢] – التحرير والتنوير :لابن عاشور، ج ٣٠ ، ص ٤٣٤ .

١- بيان حكمة اللَّه في خلق الإنسان من ضعف إلى قوة، والإشادة بما زوّده وأمره به من فضيلة القراءة اقرأ ،والكتابة عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ،لتمييزه على غيره من المخلوقات:] K L M N O Z..[الآيات : ١ – ٥].

٢- الإخبار عن مدى طغيان الإنسان وتمرده على أوامر اللَّه، وجحوده نعم اللَّه عليه وغفلته عنها رغم كثرتها في حال توافر الثورة والمال والغنى لديه، فقابل النعمة بالنقمة، وكان الواجب عليه أن يشكر ربّه على فضله، فجحد النعمة وتجبّر واستكبر:] d e f g h ..[الآيات: ٦- ٨].

٣- افتضاح شأن فرعون هذه الأمة أبي جهل الذي كان ينهى رسول اللَّه r عن الصلاة، انتصارا للأوثان والأصنام، وتوعده بأشد العقاب إن استمر على ضلاله وكفره وطغيانه، وتنبيه الرسول r إلى عدم الالتفات لما كان يوعده به ويتهدده:] r s t u Z.. إلى] كَلَّا لَئِن لَّمْ ´ µ ¶ ¸ Z [الآيات: ٩- ١٩].

المبحث السادس : مناسبتها لما قبلها ولما بعدها

مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

من المناسبات التي ظهرت لي-واللّه تعالى أعلم- :

١. لما ذكر سبحانه في سورة التين أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أحط درجات العجز أسفل سافلين- وبدء خلق الإنسان في نشأته يكون من نطفة، ثم علقة ،وهكذا

(٣) -الزحيلي، وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،ط. الثانية (١٤١٨ هـ)،دار الفكر المعاصر، دمشق،ج٣٠،ص٣١١-٣١٢ .

من المراحل التي يمر بها الإنسان- جاء في سورة العلق فأشار إلى مرحلة من هذه المراحل في قوله تعالى:] Q R S T U Z [العلق: ٢].

٢. ختمت السورة السابقة لها بقوله تعالى:] F G H I J Z [التين:٨] فهو أقضى القاضين الذي يحكم بين نبيه r وبين أهل التكذيب،وذكر في سورة العلق صورة من صور هؤلاء المكذبين لنبيه r وكيف أن الله عزّ وجل يدافع عن نبيه صلوات الله وسلامه عليه ويقضي بينه وبين المكذبين له بحكمه العدل؛ فهذه صورة لهذا الطاغية الذي قال تعالى عنه:] أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ © Z وقد تهدده الله في الدنيا قبل الآخرة بقوله تعالى:] كَلَّا لَئِن لَّمْ ´ µ ¶ Z الخ الآيات [العلق: ١٣- ١٩].

- وذكر السيوطي-رحمه الله- في كتابه"تناسق الدرر ص ١٦" إحدى المناسبات فقال:" لمَّا ذكر في التين حسن خلق الإنسان ، ذكر بعده حسن خلقه ، ونعمته عليه بما علّمه من الكتابة والقراءة،وما تعلمه مما لم يكن يعلمه ؛إ كراما منه تعالى ولطفا ، ولذلك قال:] V W X Y Z [العلق٣] (1).

- وأشار الألوسي -رحمه الله- إلى المناسبة بين سورة العلق وما قبلها في كتابه"روح المعاني"بقوله:"ولما ذكر سبحانه في سورة التين خلق الإنسان في أحسن تقويم بين عزّ وجلّ هنا أنه تعالى خلق الإنسان من علق فكان ما تقدم كالبيان للعلة الصورية وهذا كالبيان للعلة المادية، وذكر سبحانه هنا أيضاً من أحواله في الآخرة ما هو أبسط مما ذكره عزّ وجلّ هناك (2).

مُنَاسَبَتُهَا لمَا بعدها:

(1) - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ،تناسق الدرر في مناسبات السور(أسرار ترتيب القرآن) ،تحقيق :جميل عبد الله عويضة،(بدون تاريخ)، ص ٣٤ .

(2) - الألوسي ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، لأبي الفضل محمود ، تحقيق: محمد أحمد الأمد، عمر عبد السلام السلامي، ط، الأولى(١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج٣٠،ص٥٥٦ .

أشار السيوطي إلى وجه مناسبتها بما بعدها بقوله[1].:" قد يُقال : لمَّا قال في تلك :] K L M N O P Z الآيات ، وهو أول ما نزل من القرآن ، ناسب ذلك أن يليه] ! " # $ % & Z [القدر: ١]، أي ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر ، وأيضا لمَّا قال :] وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ Z نبّه على ما يقرِّب فيه من الأزمان ، وهو ليلة القدر ، كما نبّه على ما يقرِّب فيه من الأعمال ، وهو السجود ؛ تحريضا على الاقتراب فيها من الله تعالى ؛ لشرفها ، وفي الحديث :" أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ" [2] .

وذكر الألوسي وجه مناسبة العلق للقدر بقوله:" ووجه مناسبتها أنها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المتقدم فيه كأنه قيل : اقرأ القرآن لأن قدره عظيم وشأنه فخيم. وقال الخطابي : المراد بالكتابة في قوله تعالى فيها] ! " Z الإشارة إلى قوله تعالى:] K Z [العلق : ١] ولذا وضعت بعد" [3] .

المبحث السابع : وجه اختصاص السورة بما اختصت به

لكل سورة من سور القرآن موضوعها المستقل،ولها روحها الذي يسري في كيانها، ولكل سورة خصائصها التي تتميز بها،وقد يصعب تحديد الخصائص التي تتميز بها السورة عن بقية السور لباحث لم يتمعن ويطيل النظر في محتوى السورة ومضمونها،فلابد للمفسر أن ينظر نظرة ثاقبة في تحليل الآية وما يمكن أن تنور به العقول والأفهام ، في ضوء وحدتها الموضوعية حتى يستخرج أهدافها المنبثقة من ذلك الموضوع،مما يعينه على ظهور شخصيتها المميزة وخصائصها المستقلة؛وبذلك بظهر وجه إعجاز القرآن في جعل مقدار التحدي سورة من مثله.

---

(1) – السيوطي ،تناسق الدرر في مناسبات السور، ص ٣٤ .

(2) - أخرجه مسلم في " صحيحه" كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود،ح ٢١٥(٤٨٢)، ص٢٠٠ .

(3) - الألوسي ،روح المعاني ، ج٣٠،ص ٥٧٢ .

وفي ضوء دراستي للوحدة الموضوعية في سورة العلق سأقف على بعض خصائص هذه السورة الكريمة.

فسورة العلق سورة مكية تتشابه مع كثير من السور المكي في موضوعاتها وقضاياها الفرعية ، فهذه السورة يغلب عليها سمات القرآن المكي من كثرة الزجر والترغيب والترهيب والتهديد ، إلاّ أن لها سمات خاصة انفردت بها ، وتميزت بها عن غيرها من السور؛ومن الخصائص التي اختصت بها –والله تعالى أعلم-:

هي المؤسسة لرسالة محمد r العظيمة.

كانت أولى السور التي حثت على أهمية القراءة فلها قصب السبق في ذلك حيث افتتحت بالقراءة،ومن هنا أصبح البعض يشتق مسمى للأمة الإسلامية ألا وهو((أمة اقرأ)) مستشهداً بهذه السورة.

أثبتت هذه السورة معجزة محمد r الخالدة وهو قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، وقد أمر بقراءته وأقرأه إيّاه جبريل الأمين،مع كونه أميّاً لتبقى هذه المعجزة العظمى دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه كلام رب العالمين.

نبهت هذه السورة على ابتداء خلق الإنسان من علقة وهي قطعة الدم الجامد الرطب غير جاف.

"وقد جاء في إعجاز القرآن العلمي ذكر العلقة ،لأن الثابت في العلم الآن أن الإِنسان يتخلق من بويضة دقيقة جداً لا ترى إلا بالمرآة المكبِّرة أضعافاً تكون في مبدأ ظهورها كروية الشكل سابحة في دم حيض المرأة فلا تقبل التخلق حتى تخالطها نطفة الرجل فتمتزج معها فتأخذ في التخلق إذا لم يَعُقْها عائق كما قال تعالى :] q r s (٥) Z [الحج : ٥] فإذا أخذت في التخلق والنمو امتد تكورها قليلاً فشابهت العلقة التي في الماء مشابَهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقة[1]".

[1] – انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٣٨ .

تميزت هذه السورة بأنها جمعت صوراً متعددة للإنسان من حيث طبيعته المادية فتكلمت عن نشأته، وطبيعته النفسية فميزت بين إنسان الخير وهو صاحب العلم ،وإنسان الشر وهو صاحب الدنيا الذي يتمادى في الطغيان.

أنها تضم خمس عشرة فاصلة قصيرة، وهذا نسق متساوق يربط فواصله تناسق داخلي دقيق.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية في سورة العلق وتفسير الآيات في ضوئها

الجو العامّ في السورة:

مطلع هذه السورة هو أول ما نزل من القرآن باتفاق –كما تقدم بيانه–.

وافتتحت السورة بكلمة] Z K إيذاناً بأن رسول الله r سيكون قارئاً ، أي تالياً كتاباً بعد أن لم يكن قد تلا كتاباً قال تعالى :] T U V W X Y Z [ ] \ ] _ ` a b Z [العنكبوت : ٤٨] أي من قبل نزول القرآن ، ولهذا قال النبي r حين قال له اقرأ : " ما أنا بقارىء " .

وفي هذا الافتتاح براعة استهلال للقرآن [١].

وأما بقيتها فإنها نزلت فيما بعد. فهي تشير إلى مواقف وحوادث في السيرة لم تجيء إلا متأخرة ، بعد تكليف الرسول r – إبلاغ الدعوة ، والجهر بالعبادة[٢].

وبعد النظر في آيات السورة الكريمة والبحث في المناسبات التي تربط بينها يمكن القول بعد الاعتماد على الله عزّ وجل وطلب العون والسداد منه:

إن سورة العلق موضوعها هو الإنسان من حيث الطبيعة المادية والنفسية وطريقة تهذيبه، وقد تمثل ذلك في ذكرها للإنسان بوجه عام ، وبوجه خاص.

---

[١] –ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٣٠،ص٤٣٥.

[٢] – سيد قطب، إبراهيم،في ظلال القرآن،(بدون تاريخ)، دار الشروق ـ القاهرة.ج ٦،ص ٣٩٣٨ .

7 8 [K L M N O P Z [العلق].

فاختص الله عزّ وجل من الإنسانية نبي الهدى محمد r حيث ابتدأت الآيات بمنة الله عليه وتعليمه القراءة التي افتتح بها الوحي ،وما في ذلك من إشعاره بالرسالة وبدء النبوة، وفي إضافته إلى الرب عند تلقيه الأمر دلالة على العناية به مع ما أولاه الله إياه من التربية والرعاية التي أحاطت بشخصه الكريم.

[Q R S T U Z [العلق].

ثم توجهت الآيات إلى ذكر الإنسان بوجه عام من حيث الطبيعة المادية إذ خص الله عزّ وجلّ خلق الإنسان من بين مخلوقاته ،ففي ذكره لعموم الخلق دلالة واضحة على قدرته العظيمة وأنّه ما من مخلوق في الكون إلا والله خالقه ومن بين تلك المخلوقات هذا الإنسان الذي كرمه الله عزّ وجل واختصه في هذه السورة الكريمة بالذكر،وقد خلقه الله عزّ وجل أطوارا فمر بمراحل متعددة،واقتصرت هذه السورة الكريمة على ذكر مرحلة منها وهي مرحلة العلقة التي هي عبارة عن قطعة من دم رطب،فذكرها بلفظ الجمع، لأنه أراد بالإنسان الجمع، مع ما ينطوي من ذكر هذه المرحلة من أسرار عظيمة ناسبت الجو العام للسورة والبيئة المعنوية التي نزلت فيها السورة إذ كانت هذه الآيات المتلوة هي أول ما نزل من الوحي ونزلت على قومٍ ينكرون وجود الله عزّ وجلّ فبدأهم الباري في التدليل على وجوده بآية من آياته تعالى وخاطبهم بما يعرفونه ويسلمون له من كون أصل المخلوق من قطعة الدم هذه .

وفي ذكر هذه المرحلة التي تدل على ضعف الإنسان ، وأنه خلق من أحقر الأشياء تدرج للوصول إلى المراحل العليا حين يبلغ الإنسان كماله الإنساني ويصير عالما بحقائق الأشياء ، وكأن فيه إيحاء إلى أن من خلق من الدم الجامد إنسانا حيا ناطقا يسود المخلوقات الأرضية جميعها ، قادر أن يجعل محمدا r قارئا وإن لم يتعلم القراءة والكتابة.

فامتن الله على الإنسانية جمعاء بنعمة العلم وفي هذه الآيات إشارة إلى ذلك حيث زود الله الإنسان بآلة العلم فقال تعالى: [Z] \ [Z [العلق]. ((فالقلم آلة جامدة لا

حياة فيها وليس من شأنها الإفهام ، فمن جعل من الجماد الميت الصامت آلة للفهم والبيان. أفيصعب عليه أن يجعل من محمد r قارئا مبيّنا ، وتاليا معلّما)) [1].

ثم جاء البيان لهذا الإجمال الذي ذكره في تعليمه بالقلم ،ما الذي علمه بالقلم ؟.فقال

] ^ _ ` a b c Z [العلق]، فالله عزّ وجل هو الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وكل ما تعلمه هو من فضل الله عزّ وجل وتوفيقه له، وهنا مرحلة عظيمة تهدف إلى الرقي بالإنسان في مجالات الحضارة ليبني الإنسان ذاته وأمته،ولا أدل من ذلك من نزول أولى الآيات تدعو إلى القراءة،ثم تختم بالعلم ، فبالعلم يحيا الإنسان،ويتطور،ويرقى إلى المجد،وبالعلم تحيا القلوب والأبدان،ويخرج الإنسان من الظلمة إلى النور،ويحقق الإنسان أسمى الغايات للوصول إلى الهدف؛متى ما سلك سبيل الحق والرشاد واستمر على النهج القويم.

ولا يزال سياق الآيات مترابط وهي ترسم صورة للإنسان من حيث امتنان الله عليه بالخلق والتعليم، فإن هذا المخلوق الذي خلق من علق وامتن الله عليه حتى غدا يافعا وعلمه ما لم يكن يعلمه ، ورزقه من حيث لا يحتسب،وامتن عليه بالغنى والمال؛فإذا نوع من هذا الإنسان ينسى كل ما تقدم ، ويطغى ويتجاوز حده وهنا تأتي الآيات لتصور لنا انحراف النفس الإنسانية عن المنهج الحق فقال تعالى:] d e f g h i j k l Z [العلق] .

ثم يأتي تهديد الله ووعيده لمن انحرف عن الجادة ، وتحذيره من تربص الدوائر،وأن الله له بالمرصاد، 7 8

] m n o p q Z [العلق]. وتذكر الآيات بعضاً من آثار الطغيان ووعيد الله عليها] كَلَّا لَئِن لَّمْ ´ µ ¶ ¸ Z وفي هذا تهذيب للإنسان من التنكب عن الطريق الحق

[1] — المراغي،أحمد مصطفى، تفسير المراغي ، (بدون تاريخ)،دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان ،ج ٢٨،ص ١٩٩ .

، ومن سلوك هذا الطريق الشاذ،وأن المرء لابد أن يدرك النعمة التي أنعم الله به عليه وأن يقابل الإنعام بالشكر والعرفان لا بالتجبر والطغيان فتختم السورة بالأمر بالسجود والاقتراب إلى الله تعالى] كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ Z [العلق]..

هذا –والله تعالى أعلم– ما كشفت عنه آيات السورة الكريمة، وهذا هو موضوعها الذي عالجته آياتها،وبنته بناء محكماً متيناً.

و قد عرضت السورة الكريمة هذا الموضوع على مراحل متعددة، وتناولته في حلقات متناسبة،وسأذكر فيما يأتي حلقات هذا الموضوع،متضمنة ذكر المناسبة التي تربط بين آيات الحلقة الواحدة أو المرحلة الواحدة، ثم تفسير الآيات في ضوء الوحدة الموضوعية للسورة.

قد سلكت السورة الكريمة في أداء هذا الموضوع ثلاث مراحل تناسقت تناسقاً عجيباً بين أجزائها،وتسلسلت تسلسلاً رائعاً في ترتيب الحقائق التي تضمنتها،وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى:امتنان الله على الإنسان بالخلق والتعليم" الآيات :١ –٥".

المرحلة الثانية:انحراف النفس الإنسانية عن المنهج القويم ، ومجاوزتها لذلك بالطغيان الأثيم" الآيات:٦–٧ ".

المرحلة الثالثة: تهديد الإنسان وتحذيره من عاقبة الطغيان ؛ مع ذكر بعض أثار الطغيان ووعيد الله عليها" الآيات :"٨–١٨".

المرحلة الخاتمة:تهذيب النفس الإنسانية من خلال إرشادها إلى طريق الجادة"الآية ١٩".

المطلب الأول:امتنان الله على الإنسان بالخلق والتعليم" الآيات:١– ٥ "

<u>محور السورة:</u>

سورة العلق تتحدث عن الإنسان من حيث طبيعته المادية والنفسية وطريقة تهذيبه.

<u>أولاً: المناسبة بين اسم السورة ومحورها:</u>

محور السورة كما أسلفت يتحدث عـن الإنسـان وطبيعتـه الماديـة والنفسـية وطريقـة تهذيبه،وسميت السورة بسورة العلق إشارة إلى هذه المرحلة مـن مراحـل نمـو الإنسـان وتطـوره ؛وكأن فيها إشارة إلى ما ينطوي في أصل خَلْق الإِنسان من بديع الأطوار والصفات التي جعلتـه سلطانَ هذا العالم الأرضي .

فإن هذا المخلوق الضعيف ؛ المخلوق من قطعـة دم شـديدة الحمـرة، قـد جعـل الله فيـه قـوى كامنة بحيث ينمو ويتطور ليصبح ذلك الإنسان الذي كرمه الله عزّ وجل مـن بـين مخلوقاتـه، فالذي قدر على أن يجعل من قطعـة الـدم تلـك مخلوقـاً ناطقـا قـادرٌ على أن يعلمـه القـراءة والكتابة لتتهذب نفسه وتسمو روحه.

ثانياً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

"افتتحت سورة العلق بالأمر بالقراءة و ختمت بالأمر بالسجود و وسطت بالصلاة الـتي أفضـل أقوالها و أولها بعد التحريم هو القراءة و أفضل أفعالها و آخرها قبل التحليل هو السجود"[1].

المقطع الأول: امتنان الله على الإنسان بالخلق والتعليم..

قولـــه تعـــالى:] K L M N O P Q R S T U V W X Y

Z [\ ] ^ _ `a b c Z[العلق].

جاء في هذا المقطع بيان امتنان الله على الإنسان بالخلق والتعليم.

هذه الآيات هي أول ما نزل مـن كتـاب الله عـزّ وجـلّ مما يلفـت المتأمـل إلى الوقـوف عليهـا وتدبرها، فكتاب الله عزّ وجلّ هو المعجزة الإلهية وهـو الكتـاب المـبين الـذي أنزلـه الله علـى رسوله الأمين وجعله منهاجاً لنا ، وأمرنا بتدبره والتفكر فيـه،فحريٌ لمتـدبر ومتأمـل أن يقـف على آيات هذا الكتاب ويمعن النظر فيها ليقف على عظمة هـذا الكتـاب ويهتـدي بنوره،فهـو كتـــــــاب هدايـــــــة] U V W X Y Z [\

[1] – ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى ، (١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م)،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ج ١٦،ص ٤٧٧ .

e d c b a ` _ ^]

f Z g [المائدة: ١٦].

والمتأمل في هذه السورة المؤسسة لافتتاحية تلك الرسالة العظيمة،وارتباطها بـالوحي ، يدرك مدى العناية التي ينبغي أن تحاط بها ،فهي بحق افتتاحية الوحي.

فنظرة في تلك الأحداث التي جاءت في السيرة النبوية وما حـدث لـنبي الأمـة حـال تعبـده في الغار بعيداً عن الأهواء والصخب،فيأتيه الوحي وتنـزل عليـه هـذه الآيـات العظيمـة في حـدث جلل سجله التاريخ وحفظته الأمة،وكانت تلك الكلمة العظيمة كلمة (اقرأ) لنبي أمي تشـعر ه بالدهشة؛ ماذا سيقرأ ؟وكأنها مفتاح لما بعد ذلك وبدأ تنزل القرآن حتى اكتمـل هـذا الكتـاب العزيز، فكانت أول كلمة فيه إيحاء لما بعد ذلك وأنه سيكون هنـاك كتـابٌ يقـرأه، وسـتتلوه الأمة من بعده ، وستنشأ الحضارات وتعيش الأمة في عزة ورخاء فهـي بحـق أمـة اقـرأ، وهنـا دعوة لكل الحضارات الزائفة الـتي تَـدعيّ الرقـي وتنظـر للأمـة الإسـلامية نظـرة شـؤم وازدراء وتّدّعي أنها من ركبـت الحضـارة، دعـوة للرجـوع إلى الـوراء قليلا؛وكيـف أن هـذه الرسـالة العظيمة افتتحت بهذا الأمر.فهاهي تدعو نبي الأمة في أول وهلة بـالقراءة وكانـت إيـذاناً بعـد ذلك لما سيتبعه من أمور عظيمة؛ فلم يقف الحد عند القراءة فقـط ، بـل ذكـرت الأداة المعينـة عليه وكأنها تزوده خطوة خطوة، وعند ذكر السبب لابد من ربطه بالمسبب فالـذي دعـاك إلى القراءة وزودك بالآلة هو من سيعلمك فهو المعلم (وما توفيقي إلا بالله) .

لنقـف وقفـة متأمـل عنـد هـذه الآيـة العظيمـة] K L M N O P Z [العلق]،ومن خلال تأملنا لهذه الكلمات (القراءة– معرفة الرب– الخلق) سنجد أنها كلمـات تعبر في مضمونها عن الحقيقة التي وجدنا من أجلها وكأنها تصور لنا كل المعالم التي نعيشها ونسعى لها ؛وبالتالي نحقق الرضا والسعادة عند تحقيق أهدافنا.

فما حولنا من الكون الذي أوجده الباري عزّ وجل ّهو مخلوق من مخلوقاته عزّ وجل ؛وهو آيـة من آياته العظام التي تدل على وجوده ؛فهو خـالق الأكـوان وخـالق البريـات ،أوجـدنا مـن

العدم ولم يخلقنا عبثا وإنما لغاية جليلة هي عبادته عزّ وجل،فهو رب الأرباب الـذي ينبغـي أن نتعرف عليه فمعرفتنا للخالق تقودنا إلى تحقيق الغاية العظمى وبذلك لا نتجه إلا إليه .

إذن لابد لنـا مـن السـعي إلى تحقيـق الهـدف ؛ولا بـد أن نسـعى إلى تعمـير الكـون وتحقيـق الخلافة التي أمرنا بها، وهاهي الوسيلة المعينة علـى ذلـك إنهـا القـراءة الـتي سـتقودنا إلى العلـم ؛ فـإذا تعلـم الإنسـان اسـتطاع تعمـير هـذا الكـون، وهكـذا تـرتبط هـذه السلسـلة العظيمة...وتترابط هذه الآيات فكل جملة فيها مترابطة مع الأخرى.

وقد جاء فيها بيان عظم هذه النعمة التي امتن الله بها على الإنسان في تسلسل عجيب .

فابتدأ الأمر فيها بالقراءة ووجه الأمر إلى نبي أمـي،وفي هـذا إبـراز للمعجـزة العظمـى، فهـاهو الأميّ بالأمس صار معلماً اليوم،] K L M Z مبتـدئاً القـراءة] L M Z فالمقـام هنـا مقام ربوبية وتصرف وتدبير للأمور وابتداء رسالة .

((وعدل عن اسم (الله)العَلم إلى صـفة (ربـك) لمـا يـؤذن وصـف الـرب مـن الرأفـة بـالمربوب والعناية به ، مع ما يتأتى بذكره من إضافته إلى ضـمير الـنبي r إضـافة مؤذنـة بأنـه المنفـرد بربوبيته عنده رداً على الـذين جعلـوا لأنفسـهم أربابـاً مـن دون الله فكانـت هـذه الآيـة أصـلاً للتوحيد في الإسلام))[1] .

إذن اقرأ يا محمد مستعيناً باسم الله؛لأن أسماء الله تعالى كلـها خـير- وكأنـه هنـا يرشـدنا أن القراءة والأمور كلها ينبغي أن تكون بالاسـتعانة باسمـه تعـالى- اقـرأ باسـم ربـك الـذي ربـاك وأحاطك بربوبية خاصة وامتن عليك بهذه النعمـة ، اقـرأ بسـم ربـك الـذي خلـق كـل شـيء، الإنس والجن ، الصغير والكبير،العالم بأسره،فما من شيء إلا وهو مخلوق لله عـزّ وجل،وبعـد أن أطلق الخلق؛خص تعالى هذا المخلوق العظيم من بين مخلوقاته إنَّه الإنسان فأي تكـريمٍ هـذا وتشريف لك أيها الإنسان، امتن الله عليك بإنزال الكتـاب السـراج المـنير،وامتن عليـك بـنبي الأمة الذي كلفـه بالرسـالة ليكـون لـك هاديـاً إلى الصـراط المسـتقيم، واختصـك هنـا مـن بـين مخلوقاته ؛وأفردك من بين سائر المخلوقات تفخيماً لشأنك.

[1] — انظر: التحرير والتنوير:لابن عاشور، ج٣٠ ، ص ٤٣٧

فمازال السياق عن هذا الإنسان وهاهي الآيات تترابط الواحدة تلو الأخرى لتوضح بجلاء عظيم امتنانه تعالى على هذا الإنسان المخلوق من علق ...

((إشارة إلى ما ينطوي في أصل خَلْق الإِنسان من بديع الأطوار والصفات التي جعلته سلطانَ هذا العالم الأرضي))[٢].

ولماذا ذكر الله عزّ وجل هذه المرحلة من مراحل الخلق ولم يذكر ما قبلها من النطفة أو خلق آدم من تراب؟

((ذلك لأن المقام هنا مقام دلالة على وجود الله، فبدأ بما يعرفونه ويسلمون به لله، ولم يبدأ من النطفة أو التراب لأن خلق آدم من تراب لم يشاهدوه، ولأن النطفة ليست بلازم لها خلق الإنسان، فقد تقذف في غير رحم كالمحتلم، وقد تكون فيه، ولا تكون مخلقة)) [١].

((لقد خلق الله هذا الإنسان من تلك النقطة الدموية الجامدة العالقة ،فمن كرمه رفع هذا العلق إلى درجة الإنسان الذي يعلم فيتعلم)) [٢] .

وهكذا يبدأ الإنسان صغيراً ثم يكبر، وفي تنقله عبر هذه المراحل العمرية يتعلم المزيد مما هو حوله.

وفي هذا ((إشارة إلى أن خلق الإنسان من علق ثم مصيره إلى كمال أشده هو خلق ينطوي على قوى كامنة وقابليات عظيمة أقصاها قابلية العلم والكتابة وفي ذلك اطمئنان لنفس النبي r بأن عدم معرفته الكتابة لا يحول دون قراءته لأن الله علّم الإنسان ما لم يعلم ، فالذي علّم القراءة لأصحاب المعرفة بالكتابة قادر على أن يعلمك القراءة دون سبق معرفة بالكتابة)) [٣].

---

[٢] – المرجع السابق ج٣٠ ، ص٤٣٨.

[١] – الشنقيطي، محمد الأمين الجنكي ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تخريج: محمد عبدالعزبز الخالدي، ط، الثانية، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) دار الكتب العلمية،بيروت– لبنان،ج٩ ،ص ١٩٦ .

[٢] – سيد قطب، في ظلال القرآن،.ج ٦، ص ٣٩٣٨–٣٩٣٩ .

[٣] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠ ، ص٤٣٨.

إذن اقرأ يا محمد] Z X W V [العلق:٣]. وهنا كرر الأمر بالقراءة ،أقرأ وافعل ما أمرت به و في هذا تمهيد لما سيعقبه فإن ربك هو الأكرم ،ليزيح عنه العذر في قوله (ما أنا بقارئ) وكيف لي أنا أقرأ وأنا أميّ لا أجيد القراءة والكتابة ! ! فيأتي الجواب ربك الأكرم سيعلمك .

"ومجيء الوصف هنا بالأكرم بدلاً من أي صفة أخرى ، لما في هذه الصفة من تلاؤم للسياق، ما لا يناسب مكانها غيرها لعظم العطاء وجزيل المنة،فأولاً: رحمة الخليقة بهذه القراءة التي ربطت العباد بربهم.وكفى.

ثانياً: نعمة الخلق والإيجاد، فهما نعمتان متكاملتان: الإيجاد من العدم بالخلق، والإيجاد الثاني من الجهل إلى العلم، ولا يكون هذا كله إلا من الرب الأكرم سبحانه" [٤].

اقرأ وربك الأكرم، فهو من يجازيك بالثواب على القراءة فوق ما تتصور، وسيُفتح عليك من العلوم كلما تقرأ أكثر ، فالعلم فتوح وعطاءات من الله عز وجل، فهو المعلم الذي أمدك بأداة العلم ،وجعلها معينة لك لتتعلم ،فأرسل لك جبريل الأمين ليقرئك فأصبحت بنعمة منه وفضل قارئاً لكتابه،وأمدك بكتاب للوحيّ،وأراد البارئ عزّ وجل –رغم هذه النعمة التي تفضل بها على رسوله والتي ابتدأت بالقراءة ليبلغ رسالة ربه– أن يكون أمياً لا يكتب صيانة لهذه الرسالة،وفي ذلك معجزة عظمى وقد نوه الله عليها بقوله تعالى] U T

Z b a ` _] \ [Z Y X W V

[العنكبوت : ٤٨] ،ولم يغفل نبي الأمة شأن القلم ، بل عنى به كل العناية ، وقد ظهر ذلك من خلال اتخاذه كتاباً للوحي، ودعوته ومراسلاته للملوك والأمراء ، وفي سيرته العطرة شواهد عظيمة تدل على تلك العناية التي ما كانت لتتم له إلا بتوفيق وفضل من رب العالمين.

وهاهنا دعوة إلى التعلم دل عليها قوله تعالى:] Z [\ ] ^ _ `a b

Z c [العلق].

---

[٤] – الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٩،ص ١٩٧ .

فالذي علم بالقلم ، وهيأ لك أسباب العلم ، وجعل في الأمة علماء هم مصابيح الدجى هداة مهتدين ،يأمرك أيها الإنسان باقتفاء أثرهم .فأمدك بوسيلة تعينك على العلم إنها القلم هذه الأداة التي أشاد الله بها في محكم التنزيل،وأقسم بها في قوله تعالى:] Y [ ] \ ] ^ Z [القلم].

فهو الذي جعل القلم وسيلة للتعلم، به يحفظ الإنسان ما علم ويبلغه غيره ، فالقلم أفضل وسيلة للحفظ والتعلم.

فالقلم هو الذي كتب ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، والقلم هو الذي يكتب مقادير العام في ليلة القدر،والقلم هو الأداة التي يتناولها المرء فيكتب بها العلوم مما سيفتحها الله عليه.

والقلم نعمة من الله تعالى عظيمة ،لولا ذلك لم يقم دين ،ولم يصلح عيش. فدل على كمال كرمه سبحانه ، بأنه علم عباده ما لم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبه على فضل علم الكتابة ، لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو. فهو واسطة للتفاهم بين الناس كالتعبير باللسان ،وبه دونت العلوم وحفظت،وقيدت الحكم،و ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ،فالقلم أداة انتقال العلوم بين الأمم والشعوب، فتبقى المعلومات، ثم يبنى عليها ويزاد إلى ما شاء اللَّه، فتنمو الحضارات، وتسمو الأفكار، وتحفظ الأديان، وتنشر الهداية.

فماذا علم بالقلم؟ علم به مالم يعلمه.فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة،] ^ _ ` a b c Z [العلق].

كما 7 8] µ ¶ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا Z [النحل: ٧٨] فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئًا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم.

فالله هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، فهو الذي علمه البيان، وهو الذي أمدنا بالعلوم على تنوعها، حتى كثرت ينابيع المعرفة، واستطاع الإنسان من خلال ذلك تطوير ذاته،وتطوير مجتمعه، فبدون البيان والقلم ما كان لينشأ للإنسان حضارة،فابتدأ أمر ذلك بهذه الأداة العظيمة وأجمل الأمر بعدها ليشمل كل ما تعلمه الإنسان ووصل إليه فهو من فضل الله عزّ وجل ،فله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور.

وهنا لابد أن نقف عند هذه المعاني التي تستوجب الشكر إزاء هذه النعم العظيمة، ولابد أن نسعى إلى تحقيق هذا المطلب الذي دُعي إليه رسول الأمة، ونكون بحق أمة اقرأ.

إن الذي يدعو الإنسان إلى مزيد من التعلم ، هو العلم نفسه ، فكلما ازدادت المعرفة ، اتسعت منطقة المجهول، وأدرك الإنسان بحق إنه يجهل الكثير من الأمور] وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ Z [الإسراء: ٨٥] ، مما يستلزم التعلق برب العالمين ليفتح لنا من أنواره ويهب لنا من لدنه علما بنفعنا به .

وها نحن في عصرنا هذا عصر انفجار المعرفة ،وعلى الرغم من هذا هناك من يتنكب عن طريق الحق إمّا لأنه لا يقرأ، أو لا يعرف ماذا سيقرأ، وكيف يقرأ.

والجواب عن هذا قد يطول لكن نختصر ذلك بأن نقول لنجعل لنا من كتاب ربنا دليلا وسبيلا لبلوغ الطريق المستقيم ولنقرأ آيات الكتاب المبين، ونهتدي بآياته البينات.

ومازال السياق مترابطاً مازال الحديث عن الإنسان فابتدأت الآيات به حيث اختار الله واحدا منها ليكون ملتقى نوره الإلهي ، ومستودع حكمته ، ومهبط كلماته، فبدأت بـ اقرأ وختمت بالعلم كنتيجة حتمية لهذه القراءة.

و هنا لابد للمرء أن يستشعر ((وقع هذه العناية الربانية بهذا المخلوق الإنساني ويتذوق حلاوة هذا الشعور ويتلقاه بالخشوع والشكر والفرح والابتهال .. وهو يتصور كلمات اللّه ، تتجاوب بها جنبات الوجود كله))[1].

وهنا سوالٌ يتراود في ذهني من حين الوقوف على أول آية فيها وهو : ما العلاقة بين الخلق والقراءة؟ولماذا ربط القراءة بالخلق؟فوجدت الإجابة على هذا السؤال من خلال تسلسل هذه الآيات العظيمة التي وضحت بجلاء نعمته المتمثلة في إيجاده للإنسان وخلقه، ومن ثمّ تعليمه وإيصاله إلى المراتب العليا التي ترقى به وأنه لم يخلق عبثا، فاقرأ يا أيها الإنسان وتعلم واستعن على ذلك بربك ومولاك الذي خلقك وأوجدك لغاية عظيمة لتتعلم ما ينفعك وتتفقه في دينك وتحقق بذلك العبودية للّه عزّ وجل ، وتتحرر من الظلمة والقيود وعبادة الأوثان إلى عبادة ربك الديّان – واللّه تعالى أعلم–.

المطلب الثاني: انحراف النفس الإنسانية عن المنهج القويم،ومجاوزتها لذلك بالطغيان الأثيم"الآيات: ٦–٧"

<u>المقطع الثاني:انحراف النفس الإنسانية عن المنهج القويم، ومجاوزتها لذلك بالطغيان الأثيم.</u>

قوله تعالى:] d e f g h i j k l Z [العلق].

كان من المناسب أن تقابل هذه النعمة بالشكر والعرفان،إلاّ إن هناك صنفاً من الناس ينحرف عن المنهج ويقابل العرفان بالجحود والطغيان ، فبعد أن ذكر اللّه عزّ جلّ عظيم نعمه وامتنانه على هذا الإنسان الذي كرمه،واختصه من بين مخلوقاته، وأكرمه بالعلم والتعلم، وزوده بآلة تعينه على ذلك، وعلمه ما لم يكن يعلمه،فإنه ينسى كل ذلك ويتجبر ويتكبر ،وما ذلك إلاّ لأن الإنسان من حيث هو إنسان من طبيعته الطغيان.

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن،.ج ٦، ص ٣٩٣٧ .

ترابطت آيات المرحلة الأولى والـتي كـان السـياق فيهـا عـن الإنسـان وامتنـان الله تعـالى عليـه بالخَلق والعلم،ومن المعلوم أن النعم تستوجب الشكر ،فهل يدرك ذلك كل مـن أنعـم الله عليـه وأغدق عليه نعمه؟ فهناك من بني البشر من يطغى ويتجـبر ظنّـاً منـه أنـه قـد اسـتغنى عـن خالقه ورازقه ؛وأنّى له ذلك ، وهو المخلوق الضعيف المخلوق مـن علق،لكنـه بسـبب جبروتـه وانحرافه عن الطريق الحق ينسى ذلك،ويستمر في عنـاده وجحـوده وهـذا هـو محـور المرحلـة الثانية.

Z h g f e d [8 7 [العلق].

((وفي الآية ربط لطيف بأول السورة ، إذا كان خلق الإنسان من علق ، وهـي أحـوج مـا يكـون إلى لطف الله وعنايته ورحمته في رحم أمه ، فإذا بها مضغة ثم عظام ، ثم تكسى لحمـا ، ثـم تنشأ خلقا آخر ، ثم يأتي إلى الدنيا طفلا رضيعا لا يملك إلا البكـاء ، فيجـري الله لـه نهـرين من لبن أمه ، ثم ينبت له الأسنان ، ويفتق له الأمعاء ، ثم يشب ويصير غلامـا يافعـا ، فـإذا ما ابتلاه ربه بشيء من المال أو العافية ، فإذا هـو ينسـى كـل مـا تقـدم ، وينسـى حتـى ربـه ويطغى ويتجاوز حده حتى مع الله خالقه ورازقه))[1].

(([d Z ردع لمن كفر من جنس الإنسان بنعمـة اللّـه تعـالى عليـه بطغيانـه وإن لم يـذكر لدلالة الكلام عليه ،وذلك لأن مفتتح السورة إلى هذا المقطع يدل علـى عظـيم منتـه تعـالى علـى الإنسان، فإذا قيل كَلَّا كان ردعا للإنسان الذي قابل تلك النعم الجلائل بالكفران وبالطغيـان ، وكذلك التعليل بقولـه تعـالى [e f g h Zأي ليتجـاوز الحـد في المعصـية وإتبـاع هوى النفس ويستكبر على ربه عز وجل))[2].

فالإنسان يفرح ويطغى إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله،لأنه من طبيعته الطغيـان والتمـرد متى رأى نفسه في غنى.

[1] – الشنقيطي،أضواء البيان،ج ٩، ص٢٠٨ .

[2] – الألوسي ،روح المعاني ،ج ٣٠، ص ٥٦١ .

((ومما في الآية من لطف التعبير قوله تعالى : أن رآه استغنى ، أي أن الطغيان الذي وقع فيه عن وهم ، تراءى له أنه استغنى سواء بماله أو بقوته ؛ لأن حقيقة المال ولو كان جبالا ، ليس له منه إلا ما أكل ولبس وأنفق)) (١).

فإن رأى الإنسان نفسه استغنى طغى وتجاوز الحد.

فإذا رأى نفسه استغنى بالصحة نسي المرض،وإذا استغنى بالشبع نسي الجوع، وإذا توفرت له حاجياته نسي الله الصمد الذي نصمد إليه في الحوائج، ونفتقر إليه،وهكذا يتمرد الإنسان ويطغى ظنّاً منه أنه قد استغنى عن خالقه ومولاه،ولكن هل يستطيع الإنسان إذا توفرت له حاجياته واغتنى وتوفرت له الأموال والثروة فأخذ الله عافيته ؛هل يستطيع التنعم بهذه الثروة إلا بنعمة الله عليه؟وإن سُلب نعمة واحدة من نعم الله عليه التي بها قوام حياته ما الذي سيحدث له ؟ فكيف لو سلب البصر،أو سلب السمع،أو تعطلت لديه عملية الإخراج كيف سيكون حاله بفقده لهذه النعم وهكذا دواليك؟

إذن فما سبب هذا الطغيان والتمرد؟ إنّها الغفلة وإيثار الدنيا الزائلة،والاشتغال بجمع المال والثروة.

وقد حكم على الإنسان باعتبار الأعم الأغلب في أفراده فيخرج من هذا العموم ،المؤمن الذي يدرك تمام الإدراك احتياجه لرب العالمين وأنه الفقير إليه،فهو لا يستغني عن ربه طرفة عين،ويسأل ربه دائماً ألا يكله إلى نفسه العاجزة الضعيفة،وهناك من الأغنياء الأتقياء الذي يدركون أن هذه النعمة هي من فضل الله وأنها لولاه لما فتحت لهم أبواب الرزق فاغتنوا وصاروا بنعمته أغنياء ،فسخروا أموالهم هذه فيما يعود عليهم بالنفع مع يقينهم بعوزهم وافتقارهم إلى الله، لكن الإنسان من حيث هو إنسان من طبيعته الطغيان والتمرد 7 8]

وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا Z [لأحزاب: ٧٢] .

---

(١) - الشنقيطي،أضواء البيان،ج ٩، ص٢٠٨ .

ومازال السياق عن ذلك الإنسان الذي امتن الله عليه وأكرمه فقابل النعمة بالنقمة، وقابل الإكرام بالطغيان وانحرف عن المنهج القويم، فليحذر هذا الطاغي المتغطرس ،فإن الله موافيه حسابه ،ولا مفر له من الله ،لذلك كان ولابد من وسيلة لعلاج و تعديل هذا السلوك المنحرف

المطلب الثالث: تهديد الإنسان وتحذيره من عاقبة الطغيان؛مع ذكر بعض أثار الطغيان ووعيد الله عليها" الآيات:٨-١٨ "

المقطع الثالث: تهديد الإنسان وتحذيره من عاقبة الطغيان، مع ذكر بعض أثار الطغيان ووعيد الله عليها.

قوله تعالى:] m n o p q r s t u v w x y z { | }
~ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ © أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ ´
µ ¶ ¸ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ
وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ Z [العلق] .

وهنا يأتي تهديد الله وتحذيره لهذا الطاغي المنحرف، مع ذكر صورة من صور طغيانه ووعيد الله عليها.

ثم تختم السورة بتهذيب النفس الإنسانية من خلال إرشادها إلى طريق الجادة عوداً على ما بدأت به من الحث على القراءة والتعلم للوصول إلى أعلى المراتب وهاهي تختم بالتقرب إلى الله بالطاعة للوصول إلى أعلى الدرجات.

لقد كان السياق في المرحلة الثانية يتحدث ((عن طبع ذميم في الإنسان وهو أنه ذو فرح وأشر، وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى، وكثر ماله. لذا هدده اللّه وتوعده ووعظه

ليضبط طغيانه ويوقف تهوره بإخباره بأنّه إلى اللّه المصير والمرجع، وسيحاسب كل إنسان على ماله، من أين جمعه، وفيم صرفه وأنفقه))[1].

8 7] m n o p q Z [العلق].

فالمرجع والمصير في الآخرة إلى الله عزّ وجلّ ، وهاهنا تحذير لهذا الإنسان من عاقبة الطغيان، فالإنسان مهما طغى واستكبر واستعلى فإن مرجعه إلى الله عز وجل،فلا مفر من الله إلا إليه،وإليه المرجع في الأمور كلها.

أيها الإنسان قد كنت ضعيفا مخلوقاً من شيء مهين ثم من علقة ما هي إلا قطعة دم،فكبرت وترعرعت ونسيت إكرام الله عليك ،فأخذت تطغى وتتجبر،أتظن أنك تسير على هواك بدون مرجع سيؤول مصيرك إليه! فلتحذر من الغفلة والنسيان،فمهما طال عمرك وزاد جبروتك فإن هناك مصيرٌ ينتظرك ،وسترجع إلى مولاك فأمرك بيديه وحده وهو من سيحاسبك ويجازيك على عملك.

ثم ينتقل السياق إلى ذكر بعض أثار الطغيان مع ما في ذلك من تهديدٍ ووعيد للطغاة.

فقال تعالى:] r s t u v w x y Z [العلق].

أخبرني عن حال هذا الرجل،وتعجب من حاله وهو ينهى عبداً عن الصلاة،ففي الآية ناهٍ ومنهٍ،وهذه صورة من صور الطغيان أن يمنع الطاغي العباد من تأدية الواجبات .

فما بالك بهذا المتمرد الذي يقف عثرة في طريق هذا المطيع ليمنعه من تأدية الصلاة..وها نحن في عصرٍ تهدم فيه المساجد ويحال بينها وبين المصلين الذين يقصدونها لأداء العبادة فيتجرعون أشد التعذيب من أجل ذلك ، أرأيت فعل هؤلاء الطغاة الذين يترصدون المسلمين في الجمعة والجماعات ويمنعونهم من تأدية الفروض والنوافل .

أليس نهيه، من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟ إنه الطاغي المعتدي الذي تجاوز الحدود فصرفه طغيانه عن البصيرة ،فظلم وتجبر وطغى.

---

[1] – الزحيلي ،التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج ٣٠، ص ٣٢٠ .

[z { | } ~ ⑪ Z [العلق]. فما ظنك إن كـان هـذا الـذي تنهـاه علـى الطريـق المستقيمة في فعلـه،] أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ⑫ Z بقولـه فهـو حـريصٌ علـى صـلاح غـيره، وأنـت تزجره وتتوعده على صلاته؛] أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ © Z أَرَأَيْـتَ إِنْ كَـذَّبَ النـاهي بـالحق وأدبر عنه، أما يخاف الله ويخشى عقابه؟

ولهذا قال:] أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ⑭ Z [العلق]. أي أعجب من هذا ألا يعلم هـذا النـاهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، فهو العـالم بـالأمور كلـها ، وهـو العـالم بـالظواهر والخفيات، لايخفى عنه شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة،فيعلم الناهي والمنهـي، ويعلـم مـن صلى وسجد ، ومن طغى وتجبر،وسيجازي كل إنسان بعمله.أفلا يخاف الله ويخشى عقابه؟

ثـم قـال تعـالى متوعـدًا ومتهـددًا:] كَلَّا لَئِن لَّمۡ ´ µ ¶ ¸ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ⑯ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ⑰ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ⑱ Z العلق: ١٥ - ١٨ أي: لئن لم يرجع عما هو فيـه من الشقاق والعناد، فينته هذا الإنسان عن طغيانه وعن ظنـه أنـه اسـتغنى عـن خالقـه، وعـن النهـي عـن الصـلاة] µ ¶ ¸ Z ((لنأخـذنّ بمقـدم رأسـه، فلنضـمنه ولنُذلنـه؛أو لنسوّدنّ وجهه، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانـت الناصـية في مقـدم الوجـه. أو لنأخذنّ بناصيته إلى النار))[1].

ثم قال:] نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ⑯ Z ((ناصية كاذبة في مقالها خاطئة في فعَالها))[2].

((ألا إن تلك الناصية لكاذبة لغرورها بقوتها ، مع أنها في قبضة خالقها ، فهـي تـزعم مـا لا حقيقة له ، وإنها لخاطئة ، لأنهـا طغـت وتجـاوزت حـدها ، وعتـت عـن أمـر ربها.ونسـبة

---

[1] – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جـامع البيـان في تأويـل القـرآن ،تحقيـق : أحمـد محمـد شـاكر، ط. الأولى،(١٤٢٠، هـ – ٢٠٠٠ م)،مؤسسة الرسالة،ج ٢٤،ص ٥٢٥ .

[2] – السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيـق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط. الأولى(١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م)، مؤسسة الرسالة. ص ٩٣٠ .

الكذب والخطيئة إلى الناصية ، والكاذب والمخطئ صاحبها ، من قبل أنها مصدر الغرور والكبرياء) [٣].

] فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ Z وهنا يأمر هذا الطاغي على ضرب من التهكم والتوبيخ بأن يدعو أهل الدفاع من قومه وذوي النجدة والبطش لينقذوه مما سيحل به .

فيتحداه الله عزّ وجل فلتدع قومك وعشيرتك ، لتدع أهل مجلسك وأصحابك ومن هم حولك ؛لتسنصر بهم ليعينوك على ما نزل بك ، فهل سينفعونك وإن جاءوا بعددهم وعتادهم فإذا جاءك عقاب الله وحل عليك غضبه مالك من الله من ناصر ،ليجتمع ذلك الطاغية العاتي بمن هم أمثاله ممن يؤذون المسلمين ، فيمنعونهم من تأدية الصلاة،ويحاربون حدود الله ، ويتجرءون على الله] سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ Z إن كنت ستدعو أهل مجلسك وأنصارك سندعو لك خزنة جهنم، لأخذك وعقوبتك ، فلتنظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟

فهذه هي عاقبة الطغاة والمستكبرين عن منهج الله القويم،فليتنبه كل غافل ينحرف عن منهج الله الذي أنزله ليحفظ به الإنسان والإنسانية،بأ ن الله له بالمرصاد،وليعلم أهل الطغيان والعصاة المتمردين بأن الله فوقهم وأن الله سينصر عباده ولو بعد حين، وليحذروا من غضبه وعقابه ،فإن العقوبة ستحل بهم لا محالة في الدنيا ، أو في الدارين معا .

وها نحن نلمس في كل عصرٍ من العصور جبابرة اغتروا وعتوا وأفسدوا فنسفهم الله ومحاهم من الوجود فأين المعتبر،وأين المتدبر لآيات الله أم أنهم يخرون عليها صماً وعميانا.

وهكذا تترابط هذه السلسلة؛ وتتناسق مقاطع السورة كلها، وهي تعطي صورة عن ذلك الإنسان من حيث المنشأ والخلقة، ثم ترقى به نحو العلم والتعلم،ثم تذكر طبعاً من طبائعه النفسية عندما يسلك الخط المنحرف وينعوج عن الطريق المستقيم، فيأتي تهديد الله ووعيده ليضبط هذه النفس الإنسانية ويهذبها،فهاهي تهذب بالعلم، وتهذب بتحذيراته ووعوده، ويأتي المقطع الأخير منها ليرسم صورة من صور التهذيب .

المرحلة الخاتمة: تهذيب النفس الإنسانية من خلال إرشادها إلى طريق الجادة"الآية ١٩".

(٣) – المراغي، تفسير المراغي،ج ٣٠،ص ٢٠٤ .

ختمت سورة العلق بقوله تعالى:] كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ Z.

كان الحديث في الآيات السابقة عن صورة من صور الطغيان التي كان من آثارها النهي عن الطاعة،مع ما توعد الله به ذلك الطاغي من العقوبة، وجاء في هذه الآية الحديث عن حالة المنهي، فأمره الله أن لا يصغى إلى هذا الناهي ولا ينقاد لنهيه فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة الدارين،فلا تطع المتكبر العاتي،واعبد ربك وتقرب إليه بامتثال أوامره فأدم السجود لله عزّ وجل لتزدد فتحا وعلما.

فتختم السورة بتهذيب النفس من خلال الأمر بالسجود والتقرب إلى الله تعالى،كما بدأت بما يهذب النفس من خلال الأمر بالقراءة فما بالك وأنت تقرأ القرآن الكريم فما أعظمه من كتاب يعتنى بقراءته وتلاوته!.

وهذه المقاطع الثلاثة المترابطة تتحد لتشكل موضوعاً واحدا إنّه الإنسان من حيث الطبيعة المادية والنفسية وطريقة تهذيبه–والله تعالى أعلم–.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المتواضع أحمده سبحانه وأشكره على ما يسره لي من إنجاز هذا البحث وهداني إليه ، هذا وقد خلصت في هذا البحث إلى الآتي:

أهمية دراسة الوحدة الموضوعية للسورة لإبراز الخصائص الإعجازية في القرآن والوقف على بعض أسراره .

هنالك تناسق وتناسب وتعانق عجيب بين آيات سورة العلق ، وموضوع السورة الرئيس .وقد تضمنت السورة ثلاثة محاور خادمة للموضوع الرئيس وهي: المرحلة الأولى:امتنان الله على الإنسان بالخلق والتعليم" الآيات :١ –٥"،المرحلة الثانية:انحراف النفس الإنسانية عن المنهج القويم ، ومجاوزتها لذلك بالطغيان الأثيم" الآيات:٦– ٧"،المرحلة الثالثة: تهديد الإنسان وتحذيره من عاقبة الطغيان ؛ مع ذكر بعض أثار الطغيان ووعيد الله عليها" الآيات :"٨–١٨"، وقد جاءت هذه المحاور متعانقة مع محورها الرئيس في صورة تمثل وحدة متكاملة لا تقبل الانفصال .

تميزت سورة العلق بأنها جمعت صوراً متعددة للإنسان من حيث طبيعته المادية فتكلمت عن نشأته، وطبيعته النفسية فميزت بين إنسان الخير وهو صاحب العلم ،وإنسان الشر وهو صاحب الدنيا الذي يتمادى في الطغيان.

ختمت سورة العلق بتهذيب النفس من خلال الأمر بالسجود والتقرب إلى الله تعالى، كما بدأت بما يهذب النفس من خلال الأمر بالقراءة.

إنّ في إدامة النظر والتأمل في كتاب الله لذة روحانية تشعر المرء بعظمة هذا الكتاب، مما يتطلب مزيداً من العناية والاهتمام بتدبره.

إن تفسير السورة في ضوء وحدتها الموضوعية لا غنى عنه لعلوم الآلة التي تخدم موضوع السورة.ولا عن التفسير التحليلي الذي يساعد في فهم الألفاظ، ومعرفة معاني ألفاظها.

ومن خلال النتائج السابقة أوصي بعدد من التوصيات من أهمها :

أن تحظى سورة العلق بمزيد عناية حتى ترسخ معانيها في قلوب الأمة ويكشف المزيد من مكنونها .

عقد ندوة عالمية للتأصيل في موضوع الوحدة الموضوعية بصورة تضبط مسارات البحث في هذا العلم ، لاسيما مع ضعف المعالم التي تقوم عليها الدراسة .

وأخيراً .. أسأل الله أن تكون هذه الدراسة على خير ما أرجو لها من الوفاء بالغرض ، مع علمي بأن بينها وبين الكمال بونا شاسعا،فأنى لمبتدئ مثلي أن يدرك التأمل ، فهذا جهد المقل ، ونتاج المبتدئ ، فإن كنت قد عجزت ، فحسبي أنني لم أبخل بالجهد .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .،،

دليل المراجع والمصادر

- الألوسي ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني،لأبي الفضل محمود ،تحقيق: محمد أحمد الأمد، عمر عبد السلام السلامي، ط، الأولى(١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان،
- **البقاعي ، إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)،دار الكتب العلمية ، بيروت.**
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى ، (١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م)،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ،التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ط. الأولى(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت — لبنان.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط.الأولى (١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م)،دار السلام،الرياض.
- الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري ،المستدرك على الصحيحي، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا،ط. الأولى، (١٤١١ هـ / ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية ،بيروت.
- الداني ،عثمان بن سعيد الأموي ،البيان في عد آي القرآن ، تحقيق : غانم قدوري الحمد، ط. الأولى(١٤١٤ هـ/١٩٩٤)،مركز المخطوطات والتراث ، الكويت .
- الدغامين،زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه،(١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م)،دار عمار–عمَّان،ص ٢٠٥ .
- الرومي،فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن، ط،العاشرة(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)،مكتبة الرشد، الرياض.

- الزحيلي، وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،ط. الثانية (١٤١٨ هـ)، ،دار الفكر المعاصر ، دمشق.
- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط. الأولى(١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م)، مؤسسة الرسالة.
- سيد قطب،إبراهيم، في ظلال القرآن،(بدون تاريخ)، دار الشروق ـ القاهرة.
- السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن ،الإتقان في علوم القرآن ، تقديم: محمد شريف سكر، راجعه: مصطفى القصّاص، ط٠الثانية(١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، دار إحياء العلوم،بيروت، مكتبة المعارف،الرياض٠
- السيوطي،تناسق الدرر في مناسبات السور (أسرار ترتيب القرآن)،تحقيق: جميل عبدالله عويضة.
- الشنقيطي، محمد الأمين الجنكي ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تخريج: محمد عبد العزيز الخالدي، ط٠ الثانية، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) دار الكتب العلمية،بيروت– لبنان.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط . الأولى،(١٤٢٠، هـ – ٢٠٠٠ م)،مؤسسة الرسالة.
- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،(١٣٨٤ هـ /١٩٥٧ م)،القاهرة.
- المراغي،أحمد مصطفى، تفسير المراغي ، (بدون تاريخ)،دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.
- مسلم، لأبي الحسين ابن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم،(١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م)،بيت الأفكار الدولية.